البرجوازية في البلدان النامية، إضافة إلى القوى الرجعية والشوفينية المتعصبة، والليبراليين والبرجوازيين والعلماء المدافعين عن ديمومة سيطرة رأس المال في المجتمع والمستنكرين للشر (المطلق) والذين يردد بعضهم وجود «ميل فطري إلى الكسل» لدى الشعوب المتخلفة سواء بسبب المناخ أم «الطبيعة» الخاصة لدى هذه الشعوب. والهدف المشترك لكل هؤلاء، هو محاولة إقناع شعوب البلدان النامية «بضرورة اتباع الطريق الرأسمالي»[٥]، وتبرير الاستغلال الاستعماري بشكليه القديم والجديد، وتشويه أهداف ومبادىء التعاون بين دول المنظومة الاشتراكية، والبلدان النامية (من خلال تعميم نظرية المصلحة الخاصة البرجوازية).

ونحن نجد حتى بعض العلماء الاقتصاديين الليبراليين الشرفاء، أمثال السويدي غونار ميردال لا يوافقون على النظريات الاستعمارية المغرضة تجاه البلدان المتخلفة والفقيرة. فميردال يرى أنه «لا يمكن تجنب إثارة مسألة الفقر في المناطق المتخلفة في العالم إلا بلغة المشكلة السياسية». فالنظرية الاستعمارية هدفها «التلطيف من المسؤولية الأخلاقية والسياسية للسلطات الاستعمارية وللأمم المتطورة بوجه عام، عن فقر هذه المناطق وعدم تنميتها». وترمي النظريات الاستعمارية إلى «إثبات أن هذه الأحوال المؤسفة طبيعية لا تتغير، بحيث لم يكن بالإمكان صنع أي شيء بشأنها». وهكذا يتم تطوير سكان المناطق المتخلفة وكأنهم «مكونين بحيث يتصرفون خلافاً للأوروبيين». فأصحاب النظريات الاستعمارية عن التخلف يتحدثون عن الميل «الطبيعي» لسكان المناطق المتخلفة إلى البطالة وعدم الفعالية، ورفضهم المجازفة في مشروع جديد، أو البحث عن أعمال مأجورة (!)، الأمر الذي يعكس «نقصان طموحهم الاقتصادي المحدود وعقليتهم في الاعتماد على المعونة، وخلقهم اللامبالي، وإيثارهم حياة الفراغ». وثمة كتابات «نظرية» أخرى على هذا الغرار أكثر تصنعاً وادعاء «للعلمية»، حين تحاول أن تشير إلى أن السمات العقلية المذكورة أعلاه في البلدان المتخلفة «ناتجة عن مجموع نظام العلاقات الاجتماعية الذي تقويه التصرفات والمؤسسات وكذلك المحرمات الدينية والمحظورات الأخرى المتأصلة في المعتقدات الخرافية»، وهي تصور نظام العلاقات الاجتماعية القائم هذا كنظام سكوني. ولكن لا يمكن إخفاء الفرضية العنصرية الكامنة وراء تقديم مثل هذه التفسيرات؛ وهي أن تدني مستوى شعوب المناطق المتخلفة «يمكن تعليله بأنها عاشت منذ عصور سحيقة في مناخ غير ملائم». وقد أبرز أحياناً، بعض المنظرين الاقتصاديين الاستعماريين «أن سوء التغذية ومستويات العيش المتدنية بوجه عام تضعف المقاومة، وتؤثر بالتالي، في الإرادة وفي القدرة على العمل ولا سيما في الأعمال المجهدة».

ويرى ميردال أن مثل هذه الأفكار لتبرير «نظرية الفقر» في البلدان المتخلفة «تتفق بوضوح مع مصلحة سكان البلدان المتطورة الذين كانوا يريدون الحفاظ على تفوقهم وعلى مراكزهم المتميزة إزاء 'البلدان المتخلفة' و'سكانها الأصليين'. فوظيفة هذه الأفكار تبريرية دفاعية وهي تقدم تعليلاً مرضياً لعدم التنمية في ظل الأنظمة الاستعمارية»[٦].

طريق التنمية الرأسمالية في البلدان المتخلفة